مقدمة

فى مطالع النصف الثانى من هذا القرن العشرين، ومصر تـرنو بعين الأمل إلى ما يمكن أن تحققه لها الـديموقراطية الصـحيحة، يحدث أن تزور القاهرة والإسكندرية فرقة للموسيقى السمفونية تعتبر أصلا وفصلا من أولى الجماعات الموسيقية فى العـالم، تلك هـى «فلهارمونية» فينا.

وبمجرد اطلاعى على برامج حفلاتها فى العاصمتين قـام بنفسى أن أضع هذا الكتاب، فقد حان الوقت أن تصحو البـلاد مـن غفلتها الموسيقية لتصيخ آذانها إلى النماذج الرفيعة فى الموسيقى.

ألفته فى شهرين، وموسيقى الفلهارمونية تملأ أسماع أهـل الحجا والثقـافة بمصر، وغمـرة الحماس تشـملنى مـن رأسى إلى أخمص القدمين.

والموسيقى لا يكتب عنها إلا على أساس التجربة. والتجربة هنا هى الاستماع. وهذا الكتاب لم ينقـل عـن الـكتب، وإن اسـتعان صاحبه باطلاع لا بأس به على أمهاتها. وإنما هـو نتيجـة خـبرة

بالموسيقى السمفونية تمتد إلى أكثر من ثلاثين عامًا متصلة، فى عواصم الموسيقى : فينا وباريس ولوندرة وبرلين ومونيخ وسالزبورج، وإلى محطات الإذاعة الهامة. وخبرة الممارسة عززًا ودراسة للأصول.

والموسيقى لا يقرأ عنها إلا على أساس التجربة أيضًا، والتجربة هنا هى استماع. ونصيحتى لمن يطالع هذا الكتاب ويهدف إلى الاستفادة الحقة منه أن لا يكتفى بمطالعته كما تطالع الكتب، بل أن يرجع دائمًا إلى الموسيقى ذاتها ينصت إليها أمام الراديو والفونوغراف، وفى الحياة ما وجد إلى هذا سبيلا - ولا سبيل إليه فى مصر إلا نادرًا جدًّا مع الأسف. وليطمئن القارئ إلى أن الإذاعة المصرية تقدم له فى قسمها الأوروبى مختارات طيبة جدًّا من الموسيقى موضوع هذا الكتاب. فإذا أضاف إليها الإذاعات الأوروبية التى تسمع بوضوح فى مصر - وأنا أخط هذه الكلمات على صوت خماسية جابريل فوريه تعزفها مجموعة فرنسية من راديو لوندرة - استطاع فى وقت قصير أن يستمع إلى جميع المؤلفات التى أعالجها هنا.

أقدم هذا الكتاب خصيصًا إلى الشباب، لأوجهه فى طريق الفهم الصحيح لموسيقى الحضارة. وليس الطريق معبدًا سهلا للكاتب. إذ كيف يتاح له أن يقرب الموضوع إلى الأفهام، ويتجنب من الاصطلاحات الفنية ما لا غنى عنه؟ تلك هى المحنة،

ولا أحسبني اجتزتها بسلام. فقد تعثرت كثيرًا لأن الأسلوب لم يجىء عفوًا، ولا يواتى كما كنت أرجو. ولست أدعى فخرًا. بل أقرر حقيقة إذ أزعم بأننى حاولت خلق أسلوب فى النقد الموسيقى. وهى محاولة فى مهدها آمل لها مزيد العناية من رجال أقدر منى حملا للقلم وفهمًا للموسيقى.

إنما أنا أفتح هنا نافذة صغيرة على هذا العالم السمفونى الفسيح ليرى خلالها بعض ذوى الحس المرهف والنفوس الغَنِيّة ما يشجعهم على المضى فى استكشاف أرجائه، ولتهب منه نسمات منعشة تنقى هذا الجو الموسيقى الآسن الذى عشنا فيه أكثر من اللازم.

٢٤ يناير - ٢٤ مارس سنة ١٩٥٠